الأبعاد الحضارية لواقع الأمة في النظام الدولي(*)

أ.د. نادية مصطفى

لبدء موضوع المحاضرة لابد من مدخل وتمهيد مهمين، وذلك من أجل إنجاز أمرين:-

يفترض أن للدورة هيكل في موضوعاتها، فهي ليست موضوعات شتات، ولكن المفروض وأنتم تتابعون هذه الدورة لابد من أن تكون هناك محاولة للربط بين موضوعاتها.

الأمر هو كيفية تحديد مخرج اليوم الأول، وكيف سأمثل في مداخلتي تراكمًا عليه، وكذلك تراكمًا على مشاركتي في الدورتين السابقتين. فبعضكم شارك معنا في الدورتين السابقتين. ففي الدورتين السابقتين، تحدثت في الأولى عن ضرورة تجديد الوعي بالأمة الإسلامية دون انقطاع مع الوعي بالوطن أو بالقومية، على اعتبار أن ذاكرتنا وذاكرة الشباب خاصة عن الأمة ومعانيها وتجلياتها تآكلت إن لم تكن معدومة في بعض الأحيان وبيان كيف؟ ولماذا؟ أما في الدورة الثانية فقد تحدثت عن التحديات الخارجية التي تواجه الأمة في مجموعها، وهي التحديات التي يفرضها الخارج خاصة في العقدين الماضيين، وصعود الأبعاد الثقافية والحضارية في هذه التحديات.

أما الدورة الحالية، فهي تحت عنوان "بناء الذات الحضارية والجماعة الوطنية" فيجب الربط بين الاثنين. فبناء الذات الحضارية لا يكون إلا بالوعي بالجماعة الوطنية، فلا يجب الفصل بينهما. وعلى الرغم من أن مستوى الجماعة الوطنية هو أضيق من مفهوم الذات الحضارية، فأنه لا ينفصل عن مستوى الأمة.

لذلك نأمل أن تسهم مداخلة اليوم، وهي تحت عنوان "الأبعاد الحضارية لواقع الأمة في النظام الدولي" أن تخدم هذه الرابطة بين مستوى الأمة والجماعة الوطنية.

أما بالنسبة لمحاضرات الأمس، فهي تعتبر تمهيدًا لمداخلتي. وهذا التمهيد يمكن بيانه على النحو التالي:

(*) ألقيت هذه المحاضرة في **الدورة الثالثة للتثقيف الحضاري**: ٢-٦ سبتمبر ٢٠٠٧.

مداخلة الدكتور رفيق حبيب تمحورت حول أمرين أساسيين: أننا كجماعة وطنية (في مصر) ننتمي إلى دائرة حضارية واحدة، مسلمون ومسيحيون، لكل منا له نصيبه من الاستمرار والتواصل الحضاري عبر التاريخ، وأن الحديث عن هذه الهوية الحضارية في مصر هو حديث سياسي يحدث على ثلاث مستويات، أولها النيل من الوحدة الوطنية برغم إدعاء الخوف عليها، وثانيها النيل من الاستقلال الخارجي بدعوى الانفتاح والتفاعل، وثالثًا النيل من نمط التنمية الذاتية بدعوى تطبيق نمط التنمية الرأسمالية.

أما الأمر الثاني في مداخلة الدكتور رفيق حبيب فهو التساؤل عن ما هو محور الحضارة، الدين في القلب من الحضارة ولكنها أيضًا هي نتاج المكان والزمان، ولا يوجد تناقض من وجهة نظري بين الفرعونية والمصرية والعروبة والإسلام. وأنا اتفق مع مداخلة الدكتور حبيب وإن كان لي بعض الملاحظات على بعض النقاط التي أوردها في محاضرته، خاصة ما يتصل بأثر الأديان المختلفة على الوعي الجمعي، فلا شك أن لكل دين اثر مختلف على الوعي الجمعي، وإن كان هذا لا يمنع من وجود وعي جماعي نسميه الثقافة السائدة إلى جانب ثقافات فرعية.

وفي ضوء مداخلتي الخاصة بوضع الأمة في النظام الدولي، واستخدام الخارج للأبعاد الثقافية والحضارية للتدخل في الدول الإسلامية، وعلى نحو ينال من الذات الحضارية المتبقية، وعلى نحو ينال أيضًا من الجماعة الوطنية بالمعنى الذي أسس له رفيق حبيب، وإن كان قد ركز على معنى الذات الحضارية من زاوية العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فقط، في حين أرى أن الجماعة الوطنية ليست قضية مسلمين أو مسيحيين فقط، ولكنها أعمق من هذا ومن الخطر أن نحصرها فقط في الحديث من هذه الزاوية دون غيرها، فهي أوسع من ذلك لتشمل العلاقة بين اليمين واليسار والعلمانيين والإسلاميين، وبين أصحاب المنظور الحضاري في العلوم وغيرهم من المنظورات الأخرى. وجميعها قضايا قفزت إلى ساحة الجدال على صعيد النظم والمجتمعات الداخلية وعلى الساحة الدولية في نفس الوقت على نحو أدى إلى تلاشى الحدود بين الداخلي والخارجي، وجدالات ونقاشات فكرية وحركية وصراعات على أكثر من مستوى.

وأحد أهم هذه القضايا هي قضية التعددية والتنوع في مجتمعاتنا وفي تراثنا وفي أصولنا، هذه القضية هي في صلب الحديث عن قضية الجماعة الوطنية، وفي صلب الحديث عن مجتمعاتنا الإسلامية وطبيعتها، وفي صلب الحديث عن الفكر الإسلامي، ومن ثم فإن هناك اتهامات موجهة إلى هذه المجتمعات وهذا التراث وهذه الأصول على أنها أحادية ضد التسامح وضد التعدد وضد

التنوع. وهنا تبرز أهمية محاضرة "فلسفة الأديان المقارنة". في هذه المحاضرة تمت المقارنة بين نصوص تراثية في الإسلام والمسيحية بينت التعددية والتنوع المنبثقين من الإيمان والعقيدة والفكر في التراث الإسلامي، ولكن هذا الأمر هو ذو صبغة أكاديمية فلسفية ولكنه الآن أضحى ذا ضرورة عملية ملحة في ظل الصعود الجديد للهجوم على الإسلام عقيدةً وتراثًا. الأمر الذي جعل من هذه الدراسات الفلسفية الأكاديمية المقارنة ذات فائدة وضرورة، وجعل منها سلاح في هذا الجدال مع هؤلاء الذين أسماهم الدكتور علي جمعة أشباه العلماء أو مدعي الثقافة الذين يريدون أن ينالوا من الإسلام ذاته واتهامه بأنه يحمل في هيكله جذور وبذور العنف، واستخدمت هذه المداخل تمهيدًا للتدخل في مجتمعاتنا الإسلامية أو لمنع تيارات إسلامية نشيطة وفاعلة والإصلاحية منها من الوصول والتأثير.

من ناحية أخرى، فإن الدكتور علي جمعة في محاضرته قدم موضوع توليد علوم جديدة في نطاق أصول الفقه الحضاري والعلوم الشرعية، واعتبار هذه العلوم الجديدة اللبنة الأولى في إعادة بناء الذات الحضارية، وذلك انطلاقًا من إعادة بناء النموذج المعرفي الإسلامي وهذه العملية هي منهاجية أكاديمية بحتة، إلا أن أبعادها الحركية لا حدود لها سواء من حيث تأثيرها في جماعات المسلمين أو جماعات الإسلاميين أو جماعات غير الإسلاميين من العلمانيين ومن القوميين، وهذه القصية التي طرحها الدكتور علي جمعة ترتبط شئنا أم لم نشأ بقضية الجماعة الوطنية بمفهومها الواسع المرتبط بجميع التيارات الوطنية داخل الدولة و الموجودة في مجالات متنوعة، والتي تدور بينها نقاشات تحول دون تعرفنا على التيار الرئيس للجماعة الوطنية حول كل قضية من قضايا التغيير الراهنة، ولذلك فإن البعض يقول أن لدينا أزمة هوية.

وعلى ضوء كل ما سبق يتحدد اقترابي من الموضوع المتعلق بـ "الأبعاد الحضارية لوضع الأمة الإسلامية في النظام الدولي" خصوصًا بعد انتهاء الحرب الباردة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهذا ليس معناه أن العلاقات الحضارية والثقافية بين المسلمين والغرب هي قضية جديدة وأنها هي قضية قديمة، ولكن مع نهاية الحرب الباردة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر دخلت هذه العلاقات مرحلة نوعية جديدة لاعتبارات كثيرة ليس هذا مجال ذكرها ولكن يمكن تلخيصها في مقولة "أن الخارج وبطريقة متصاعدة وبكثافة غير معهودة في القرن السابق القرن العشرين ركز على الأبعاد الثقافية والحضارية في إدارة علاقاته مع العالم الإسلامي وعلى نحو يوحى بتدخل في الكثير من النظم في العالم الإسلامي بدعوى الحاجة إلى أحداث تغيرات وتحولات في هذه المجتمعات لتصبح أكثر ديمقراطية وانفتاحًا على العالم، لأن هذه الأوضاع من

وجهة النظر الغربية هى حظيرة لتفريخ الإرهاب الإسلامي، هذه المقولة لم اخترعها ولا تعبر كما يعتقد البعض عن نظرية المؤامرة ولا هي استسهال لاتهام الأخر أنه يفعل ويفعل فينا، ولكن هذه المقولة هى نتيجة دراسات وأبحاث عكفت عليها خلال العقدين الماضيين.

ولتفكيك هذه الأبعاد الحضارية لوضع العالم الإسلامي في النظام الدولى بعد الحرب الباردة والحادي عشر من سبتمبر هناك عدة أمور، وسوف يتم التركيز على أمرين منهم:

الأول: التوظيف الحضاري والثقافي وفي قلبهما الدين لخدمة السياسي بطريقة غير مسبوقة.

الأمر الثاني: أن فهم المسلمين للإسلام وخاصة من يسموا (بالمتطرفين) وأفضّل استخدام تعبير من يستخدموا العنف كآلية من آليات تحركهم، لأني لا أعرف من هو المتطرف ومن هو المعتدل، وهم يعتبرون أن من يستخدم العنف هو مسالة ثقافية ناتجة عن فهم الإسلام لأن الإسلام في باطنه وهيكله وجذوره هو دين عنف، وهي مقولة يرتكز عليها جميع إسهامات الاستشراق الجديد.

هذان الأمران يترتب عليهما القول بأن المجتمعات المسلمة وأفكار المسلمين في حاجة إلى تغيير، ومن هنا تبرز المقولة الشهيرة "اكتساب العقول والقلوب" وهذه آلية قديمة من آليات إدارة العلاقات الدولية، لكنها الآن منصبة على الإسلام والمسلمين، على أساس هذه التغيرات المطلوبة في عقول وقلوب المجتمعات المسلمين سوف تجعل العالم أكثر أمنا واستقرارًا.

هذه هي الرؤية السائدة الآن في دوائر الفكر والحركة الأوروبية والأمريكية، ولا يعنى هذا أنها هي الرؤية الوحيدة، فهناك رؤى غربية أوروبية وأمريكية تقول بعكس هذا، وتوجه انتقادات للسياسات الغربية وسياسات النظام الدولي، على أساس مسئوليتها عما يحدث من تطرف –أو ما يسمى بالتطرف– في العالم الإسلامي فضلاً عن مسئولية النظم الداخلية في نشر بذور الإرهاب– أو ما يسمى بالإرهاب. ولكن هذه التيارات فاعليتها محدودة وغير متمثلة على صعيد السياسات الخارجية للدول الكبرى حتى الآن.

ولكي يتم تقريب المعنى إلى الأذهان سوف يتم التوقف عند الوقائع والإحداث، ليتم جمعها معًا لتقديم نماذج لهذا التعميم والذي يدور حول "أن هناك مجموعة من التدخلات الخارجية في العالم العربى والإسلامي عن طريق مجموعة من الأدوات الثقافية والحضارية لتحقيق مجموعة من أهداف متنوعة سياسية وثقافية وحضارية، وكل هذا يؤثر على الذات الحضارية، ويؤثر على الجماعة الوطنية على صعيد ثلاثة أمور، الحرية في الداخل، والاستقلال في الخارج، والتماسك

بين مقومات الوطني بروافده، والوطني ليس كتلة واحدة صماء ولكن فيه تنويعات، هذا التنويعات لابد من الحفاظ على تماسكها.

ما تم ذكره حالاً والمتعلق بالمقولة المركزية العامة لهذه المداخلة متعلق بما يسمى "زخم حالة حقوق الإنسان على المستوى العالمي" فالعالم منذ نهاية الحرب الباردة دخل حدوتة أو حالة أو مرض حقوق الإنسان، فهذا المفهوم يتمتع بجاذبية كبيرة لا يختلف عليها إنسان، وأصبح في صميم العلاقات الدولية، وصميم من يتوجه إليهم بهذه المفهوم هم العالم العربى والإسلامي وهي قضية مفتاح. لماذا هذا الزخم في هذه القضية الآن؟ فهذه القضية هى رأس الحربة في التدخلات الخارجية لاستغلال أمر قيمي بعد انتهاء الصراع الإيديولوجي العالمي، ليحل محله صراع حضاري، على الأقل صراع بمبادرة من قبل النموذج الغربي نحو العالم وليس فقط العالم العربي الإسلامي فقط، هذا ليس من قبيل نظرية المؤامرة ودون نفي المسئولية عن الداخل في قضايا كبيرة وقضايا صغيرة Low politics **خريطة القضايا التي تثير جدلاً وجود تدخلات من الخارج:**

– قانون الحريات الدينية في الولايات المتحدة والمقصود ليس فقط أمر الدين بين الإسلام والمسيحية وإنما أيضًا داخل الدين الواحد، الإسلام. سنة وشيعة، وداخل الوطن الواحد ما بين علمانيين وإسلاميين، ففي مصر والجدل الكبير الذي دار حول التعديلات الدستورية والمادة الثانية من الدستور المتعلقة بالمواطنة وتصويرها على أنها قضية بين المسلمين والمسيحيين، ومحاول إبراز الديمقراطية على أنها طرفٍ النقيض من الدين، أيضًا ما يتصل بقضايا التربية المدنية، وقضايا حوار الأديان أو كما يقول الدكتور رفيق حبيب الرغبة في تحويل الغلبة السياسية إلى الغلبة الدينية، الأمر الذي برز معه أن الديمقراطية لا تتحقق إلا بالعلمانية.

– حجب أسلحة الدمار الشامل عن المسلمين على اعتبار أنهم مهددين.

– قضايا البهائية، والشواذ، والختان، والارتداد عن الدين تحت ستار حرية العقيدة.

ويكتمل هذا بمتابعة الجدال حول هذه القضايا: من أين يأتي التأثير؟ من الخارج؟ وماذا يستخدم من أدوات وكيف يستخدم الداخل؟

ففي قضية دارفور، هناك بالفعل أسس اجتماعية للتمييز بين العرب وسكان دارفور من الأفارقة هذا شيء، ولكن استخدامها من قبل الخارج وتوظيفها بشكل جيد شيء آخر.

متابعة الجدل حول هذه الخريطة من القضايا، يبين لنا أن هناك زخم حول مناخ حقوق الإنسان، تعد له القوى الكبرى؛ لسياساته وبرامجه، لتفرضه ليس بسلاح حسن النية وإنما هو سلاح ذو أهداف متنوعة ومعايير مزدوجة، أما الأمر الثاني هو أن هذه التدخلات عن طرق الأدوات الثقافية الحضارية لها تأثير على الذات الحضارية ولجماعة الوطنية، وتستند هذه التدخلات إلى بيئة حاضنة مهيأة للأزمات. نحن مسئولون بممارساتنا عن جزء كبير منها وعن ما يترتب عليها من توظيف لها لتشويه صورة الإسلام.

وفي النهاية أريد التأكيد على أمرين:

– الأمر الأول، هو أن الجدال يبدو كما لو أنه جدال بين المدافعين عن الاستقواء بالخارج من أجل الحرية الداخلية والتغيير الداخلي ويجب أن يساعدنا الخارج، هذا الداخل قد يقوم بهذا بحسن نية ويفهم أن لنا ذات حضارية، وقد لا يكون الأمر كذلك، هذا الفريق في مواجهة الفريق الرافض لهذا الاستقواء دون التضحية بالكفاح الوطني من أجل الاستقلال والحرية، هذا الجدال يقسم وحدة الذات الحضارية والجماعة الوطنية في سعيها للحرية والاستقلال والوحدة.

– أما الأمر الثاني، فهو الجدال بين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية، واستقواء بعض أقباط مصر، الذين ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم أقلية وليسوا كأعضاء في الجماعة الوطنية، واستقوائهم بالعلمانيين في إطار معركة هوية النظام السياسى والمجتمع، هي أيضًا نتيجة نظام داخلي، ونتاج أزمة هوية بين نخب لها توجه معين، وقواعد لها توجه آخر، وهذه الأزمة يتم توظيفها من الخارج بنجاح حتى الآن.

لا يكفي العمل على المستوى الفكري بالدراسة والتحليل، وإنما يجب الاجتهاد في اقتراح الحول والبدائل، وعدم انتظار الخارج ليفكر عنا، فالبداية يجب أن تكون من الداخل، وباستراتيجيات متعددة الأبعاد، فالأمة مكلفة، وهذه الأمة ليست النظم والحكومات، كما أن التربوي والاجتماعي هو من صميم السياسة الإصلاحية الشرعية التي يجب التدخل لدعمها لتجنب عواقب الصدمات المباشرة. وبالتالي لا يمكن التقليل بأي حال من الأحوال من الجهود المدنية والفردية ولكن ما جدوى تعامل هذه الجهود مع أمور يجب التعامل معها من قبل هياكل عليا؟

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

بصفة عامة التحديات ليس لها دين، فالإنسان المسلم ليس هو الوحيد الذي يواجه التحديات، وإنما الإنسان بصفة عامة، على أساس أنه مستخلف في هذه الأرض ومكلف بعمارتها، وعليه أن يقوم بدوره ووظيفته في هذا الإطار. والتحدي عملية ترتبط بخلق الإنسان ووجوده وحركته وفاعليته، فهو جزء من الحياة، وربما يكون من المهم الإشارة إلى مفهوم التحدي هو قرين مفهوم مهم وهو مفهوم الابتلاء، أي أن الإنسان في حال ابتلاء دائم "ليبتليكم فيما آتاكم"، هذه القضية تؤكد أن التحديات ليست دائمًا سلبية، ولكن أحيانا قد يكون التحدى محفزا على العمل، ومفجرًا للكثير من الطاقات، فالتحدي يمكن أن يؤصل للعمران ويفعّل في بنيانه، إذن المسالة هنا تتعلق بمعنى التحدي، فالتحدى هنا معناه واسع.

هذا ينقلنا إلى المعنى الثالث الذي يؤكد على أن التحدي لابد وأن يكون له استجابة، الاستجابة هنا بمعنى واسع: استجابات سلوكية، واستجابات تربوية، واستجابات قيمية، واستجابات عملية.

لذلك نجد التعبير القرآني يعبر عن هذا المعنى للتحدي ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ﴾ (سورة الانشقاق: آية ٦) هذه الآية تعبر عن شيء مهم للغاية يمكن تسميتها بـ "الكدح الحضاري"، فالإنسان يستطيع من خلال معاشه ومعاملاته اليومية ومؤسساته وسياساته يمكن أن يشكل معنى لهذه الحياة.

الأمر الرابع الذي يؤكد على هذا المعنى هو العلاقة بين الداخل والخارج، فعندما نقف ونصف التحديات ونقول أن هناك تحديات داخلية وأخرى خارجية، للأسف نجد أن النظم السياسية تخلط بين الأمرين، وتؤكد على التحديات الخارجية في محاولة منها لتبرئة ذمتها والتأكيد على إنجازاتها، فتجعل من الداخل خارج ومن الخارج داخل.

هذه المسالة في غاية الأهمية، في هذا السياق هناك قاعدتين في غاية الأهمية

الأولى أن كل المسائل التي تتعلق بالتحديات بمعنى الإشكالات التي تواجه الأمة هيى من أنفسنا، وهي مسالة جوهرية، ثم يأتي الخارج، والخارج لا يتمكن من الداخل إلا بقدر ما يمكن له الدخل.

هذه القضايا الأربع تعبر عن معنى يتعلق بالتحديات التي تواجه الأمة، هل على الأمة أن تضع يدها على خدها وتسكن؟ الأمر يحب أن يكون على غير ذلك، وفي هذا السياق هناك أربع عناصر. معنى الدافعية السياسية لهذه الأمة، والرافعية للإسلام في أن يقوم بدوره، ثم بعد ذلك الجاهزية لهذه الأمة، أما المسالة الرابعة فهي الفاعلية.

هذه العناصر الأربع تؤكد على معنى غاية في الأهمية، حينما تقوم هذه الأمة بهذه المواجهة الحضارية أو تقوم على بناء إستراتيجية تتعلق بهذا الأمر، والإستراتيجية هي "وعي وسعي"، وعي بحقائق المواجهة، وسعي من الإنسان لمواجهة المشاكل التي قد تطرأ علية والقضايا تستجد عليه، والنازلات التي تنزل به، والحادثات التي تأتي من هنا وهناك.

لذلك الأمر يتعلق بعدة أمور، فالأمة لها مكانها ولديها إمكانية، وقدرة هذه الأمة هي التي تحول الإمكانية إلى مُكنة، فعالم الإمكانية يجب أن يتحول إلى عالم مُكنة، وعلى الأمة أن تبحث عن عالم المكنون لديها، فمن مكانٍ وإمكانيةٍ ومُكنةٍ ومكنونٍ تأتي المكانة، والمكانة لابد أن ترتبط بعناصر غاية في الأهمية يمكن أن تحقق "عملية التمكين"، التمكين في المكان، والتمكين في الإنسان، والتمكين في الزمان.

إذن هذه المسائل التي تتعلق بهذه العملية التي يمكن أن تؤدي إلى حال الأمة في هذا السياق يمكن أن تعبر عن المعنى الذي نحن بصدده عند بناء الاستراتيجيات. وينقلنا إلى الحديث عن الموضوع المتعلق بالمقاصد، هل يمكن أن تشكل المقاصد أطارًا للذات الحضارية؟ نعم يستطيع هذا المدخل المقاصدي الذي نريد أن نفعله حينما نتحدث عن استراتيجيات المواجهة، فمن خلال هذا التفعيل يمكن أن نقدم رؤية بنائية إستراتيجية لمواجهة هذه التحديات التي تواجه الأمة وتحدد معانى استجابتها.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أننا حينما نتحدث عن المقاصد، نتحدث عن ما قدمه إعلام التراث الإسلامي فنقول قال الشاطبي كذا وقال الغزالي كذا، بهذه الطريقة لا نقوم على عملية تفعيل هذه المقاصد من خلال الاجتهاد القائم فقط على ما قاله السابقين، ولكن الاجتهاد هو

اجتهاد بالمقاصد، واجتهاد للمقاصد، إذن هذا الاجتهاد هو الذي يجب أن تقوم عليه خيارات الأمة هو الذي يعبر عن المعنى الذي نحن فيه. فالإستراتيجية هي خيارات واختيارات.

التحديات الخارجية هي صراع الحضارات، وتشويه لصورة الإسلام والمسلمين، والتبعية والهجوم الثقافي، ومشكلات الأقلية، ومشكلة الأمن. ثم بعد ذلك هناك التحديات الداخلية التي كان من نتيجتها قيام الثورات والانقلابات من أجل القضاء على الفقر والمرض وغيرها من المشاكل الأخرى، وبدت مع هذه المشكلات أن الدول الإسلامية من أكثر الدول فقرًا وتخلفًا. وقد أعددت بحثًا في التسعينيات عن دولة الإمارات وكان دخل الفرد هناك يصل إلى ٢٧ ألف دولار في السنة، بينما كان دخل المواطن الصومالي في نفس الوقت حوالي ١٠٠ دولار في السنة. بالإضافة إلى التذبذب في العلاقات البينية ومشكلات الأمن والشرعية ومشكلات كثيرة جدًا متعلقة بهذه التحديات. والسؤال كيف تستجيب الأمة لهذه التحديات؟

استجابة الأمة لهذه التحديات هو جزء من التحدي، لان استجاباتنا شديدة الخطورة استجابات وقتية، ليس هناك استجابات إستراتيجية، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى التراجع أو الاندفاع.

هناك أيضًا نوع ثالث من الاستجابات الذي يمكن تسميته بـ "**الاستجابات الافتعالية**"، وهي تؤدي في بعض الأحيان إلى شئ مفتعل، فأحيانا تقوم النظم السياسية بالالتفاف حول هذه التحديات، فهي حاجة إلى أن يعيش الشعب في مثل هذه الحالة التي ينظر فيها الشعب إلى الحاكم على أنه الرشيد الذي يجد حل لكل المشاكل، ولهذا عدة مداخل فنجد الحديث أن أداء الخدمة بصور نموذجية، ولكن من الطبيعي أن تؤَدَي الخدمات بهذه الطريقة، وأن يحصل الفرد على الخدمة بكرامة.

وهناك أيضًا "**صناعة الرضا الكاذب**"، الرضا مساءلة خطيرة، صناعة هذه الرضا الكاذب باستخدام عدد من الأدوات أما قهرا أو رغبة ورهبة.

للوصول إلى الاستجابات البنائية ماذا نفعل؟ هذه هي الاستجابة الحقيقة، الأمر يحتاج إلى بناء إستراتيجية المواجهة والإصلاح، وهذا الأمر يتطلب تفكيرًا منظوميًا عملياتيًّا منهاجيًّا.

بناء الإستراتيجية مقاصدية

لبناء هذه الإستراتيجية لابد من تحديد ثماني عناصر موجودة في المقاصد، المجالات وهي كما يقول الشاطبي دين ونفس ونسل وعقل ومال، وهذه هي أركان العمران، فليس هناك حضارة بدون دين، وليس هناك دين إلا وأنبت حضارة. وتحديد الأولويات، هو جزء مهم، فالمسائل ليس على شاكلة واحدة، فالإنسان لابد له أن يحدد نظام أولوياته، فإذا لم يفعل ذلك يختل نظام حياته. موازين وموازنات للأولويات، والموازين في نظام المقاصد ثلاثة، ميزان المصالح وميزان الضرر وميزان الضرورة. وهناك أيضًا معنى مهم هو "الحفظ"، والحفظ مستويات، حفظ الحرص، وحفظ الإتباع وحفظ بقاء وحفظ أداء وحفظ بناء وحفظ نماء وحفظ انتهاء... ومستويات الحفظ تشير إلى أننا لا نتحرك في فضاء وإنما نتحرك في واقع، حيث تواجهنا حادثات وتحديات، وهذا الواقع لابد من التعرف عليه، فقه الحال، وفقه الواقع الذي يتعلق به، وفقه الواقع في إطار واقع دولي. وهناك أيضًا المناط وهذا ليس مجال للخوض في معنى المناط، ولكن هو مجموعة من عمليات منهجية يجب على الجميع تعلمها من أجل إدراج الجزء في الكل. ثم بعد ذلك لابد أن ندرس المستقبل، وهذا ما تحدث عنه الشاطبي عندما تحدث عن علم المآلات، وهو العلم الذي من خلال ندرس به أمورنا التي تتعلق بواقعنا ومستقبلنا وفعلنا وفاعليتنا وتفعيلنا ومؤسساتنا، ونرى مآلاتها في الواقع. يُضاف لجمله ما سبق أنه ليس هناك استراتيجية بدون الوسائل والآليات وأدوات. هذه الثمانية هي المؤشرات التي يجب أن تتوافر للحديث عن مواجهة جملة التحديات أمام الأمة.

والمدخل المقاصدى لا يعمل إلا في إطار سبعة عناصر مهمة:

- عقيدة دافعة أي أن عقيدة لا تدفع هي ليست من الإسلام في شيء.
- وشريعة رافعة.
- وقيم حاكمة.
- وأمة جامعة.
- وحضارة فاعلة.
- وسنن قاضية.
- ومقاصد حاكمة.

هذه السباعية تؤدي إلى بعضها البعض، وتؤدي إلى خلق أمة قوية، وهناك أيضًا رباعية ابن القيم وهو يصف الشريعة، والتي تقوم على:-

- حكمة، في بنائها المعرفي.
- رحمة، في نسقها السلوكي.
- وعدل، في أنساقها القيمية.
- ومصلحة، في مقاصدها وغايتها.

التعقيبات

د. نادية

ليس هناك نظرية مؤامرة وإنما هو تخطيط للمصالح من جانب الدول، هذا التخطيط لابد أن يكون عليه نظام ضابط، فالأخطر أن يكون على سدة الحكم في هذه الدول نخبة لا يحكمها أي نظام قيمي، والأكثر خطورة من ذلك أن تتوجه هذه المصالح ضد نظام حضاي بعينه.

لابد من التكوين الفكرى المقارن بمعنى القراء في كل الاتجاه وليس في اتجاه بعينه.

منطقة التعليم منطقة حيوية هامة للغاية، منظومة الملومة والتعلم والتدريب والتربية، هي منظومة مهمة، والخلل الذي أصاب حلقاتها هو أحد الأسباب الأساسية لما أصاب مجتمعنا المجتمع. والكل مكلف وقادر على تفعيل المنهج المقاصدي انطلاقًا من معرفة من هو؟ فيجب أن نسال أنفسنا عدة أسئلة:-

من نحن؟ ماذا نملك؟ وماذا يملك غيرنا؟ وما هي الآليات التي تتوافر لدينا؟ وما هي الغاية؟

د. سيف

الحديث عن كل ما يتعلق بالمنهج المقاصدي يحتاج إلى وقت كبير جدًا، فالمقاصد تتعلق بالسياسات العامة للدولة، والمقاصد تتعلق بوظائف الدولة، والوظائف التي تتعلق بالدين وبالعقل وبالنفس وبالنسل وبالمال، المقاصد أيضًا تعبر عن نظرية متكاملة لحقوق الإنسان فهذه الخماسية هي جوهر حقوق الإنسان وابن خلدون تكلم عن هذا الأمر في الفصل المتعلق بـ "الظلم مؤذن

بخراب العمران"، فالظلم يأتي من اختلال الوظائف، واختلال الوظائف يأتي من السلطان كما تأتي من الإنسان، وهذا الاختلال في الوظائف هو الذي يؤدي إلى اختلال الوظـائف الكليـة العامـة، ويؤكد بعد ذلك بان الخلل يولد تراكم من الفساد والاستبداد، وتراكم الفساد والاستبداد يـؤدي إلـى حالة من الظلم، والظلم ليس له عنوان إلا خراب العمران. المسالة هنـا تتعلـق بإمكانيـة تفعيـل وتوظيف المقاصد، والتجديد بالمقاصد، والتجديد في عالم المقاصد. والمقاصد هي مقاصـد كليـة عامة يعرفها كل إنسان.

أما بالنسبة لتطبيق خطوات هذا المنهج يجب أن يشارك فيه الجميع، "همّ الأمة لا تحملـه إلا الأمة" أفرادًا وجماعات، وعلى الجميع أن يبدأ في العمل. والمسئول عـن التفعيـل الأفـراد.. الجماعات.. الجميع.. مكنون الأمة؛ الطاقات التي لدى هذه الأمة، فالله قد عامل هذه الأمة بالفضل وليس بالعدل، فالعالم الإسلامي يمتلك خمس الموارد المائية، خمس الأراضي الصالحة للزراعـة هذا هو العدل، أما الفضل فكان في امتلاكهم البترول فحولوه إلى نقمة وليس إلى نعمـة، وصـار البترول هو قصعة الكبار، القصعة "التي تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلـة علـى قـصعتها قالوا: أم من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: لا بل كثرة، ولكن كثرتكم كغثـاء الـسيل، لينـزعن الله المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قيل وما الوهن قـال حـب الـدنيا وكراهيـة الآخرة".

أيضًا الهجرة ليست حل، وأخطر أنواع الهجرة من يهاجر في المكان، الذي يظل في مكانه ولكنه يهجر أمته ويهجر قضاياه، ويهجر مسائله، ولذلك فان كل هؤلاء الذين يخرجون من أجـل طلب العلم في الخارج عليهم أن يعودوا، لأن حديث النبى صلى الله عليه وسلم يقول: "من خـرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"، لذلك لابد أن يعودوا ولا يمكثوا فـي الـدول التـي ذهبوا إليها.

فمن المهم أن نعي جيدًا ما هو بالضبط دور الإنسان ورسالته في هذه الحياة حينما يحمل هم أمتـه في هذا الإطار.